

العنوان:	دفع التعارض بين الأدلة الشرعية عند الظاهرية وتطبيقاته من خلال المحلى
المؤلف الرئيسي:	النفري، حكيمي
مؤلفين آخرين:	النفاتي، برهان(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2009
موقع:	تونس
الصفحات:	1 - 182
رقم MD:	927060
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة الزيتونة
الكلية:	المعهد الأعلى لأصول الدين
الدولة:	تونس
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	دفع التعارض، الأدلة الشرعية، الظاهرية، الفرق الإسلامية، التعارض عند الأصوليين، ابن حزم، علي بن أحمد، ت. 456 هـ، التراجع
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/927060

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

النفري، حكيمي، و النفاتي، برهان. (2009). دفع التعارض بين الأدلة الشرعية عند الظاهرية وتطبيقاته من خلال المحلى (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الزيتونة، تونس. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/927060>

إسلوب MLA

النفري، حكيمي، و برهان النفاتي. "دفع التعارض بين الأدلة الشرعية عند الظاهرية وتطبيقاته من خلال المحلى" رسالة ماجستير. جامعة الزيتونة، تونس، 2009. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/927060>

الجمهورية التونسية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الزيتونة
المعهد الأعلى لأصول الدين

شهادة الماجستير
في الشريعة الإسلامية

دفع التعارض بين الأدلة التشريعية عند الظاهرية
وتطبيقاته من خلال الملاح

تحت إشراف
د. برهان النفلا

إعداد الطالب
هشيم النفري

السنة الجامعية : 2009/2008

الإهداء

أهدي ثمره هذا العمل إلى والدي العزيز بقتير النفوس

إلى أمي العزيزة مباركة السمات التي علمتني كيف أصبح

مجتمدا في طلب العلم

إلى أخواجي : سنية، عائشة و أعلام

إلى أخواجي : هشام، وتوفيق



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ"¹.

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"².

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا"³.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد، فإن علم أصول الفقه هو عمدة العلوم الشرعية التي تسابق العلماء في تحرير مسائله لعظم نفعه وارتباطه بتأصيل الأحكام الشرعية لواقع تتغير فيه الأحداث باستمرار.

وقد تعددت تعريفات علم الأصول وأدقها وإن لم يكن أجملها ما قاله الإسني⁴ في كتاب التمهيد حيث يقول: "وبعد، فإن علم أصول الفقه، علم عظم نفعه وقدره، وعلا

¹ آل عمران، 102.

² النساء، 1.

³ الأحزاب، 70-71.

⁴ الإسني: هو جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي القرشي الأموي الإسني الشافعي، ولد سنة (704هـ) وبرز في علوم اللغة والفقه والأصول، ومن أشهر مؤلفاته (نهاية السؤل شرح منهاج الوصول للبيضاوي) والتمهيد في تنزيل الفروع على الأصول، توفي رحمه الله سنة (772هـ). طبقات الأصوليين للمرآغي 186/2-187.

شرفه وفخره، إذ هو مثار الأحكام الشرعية، ومنار الفتاوى الفرعية التي بها صلاح المكلفين معاشا ومعادا، ثم إنه العمدة في الاجتهاد، وأهم ما يتوقف عليه من المواد...¹.

فعلم أصول الفقه يتصوره بعض الدارسين على أنه مناظرات، وتأصيلات وتقييدات عقيمة قد تجاوزها الزمن ولا تعدو أن تكون تعريفاته ترجمة للمنطق اليوناني.

هذا الرأي وإن كان يستند إلى الواقع فإنه يأبى إلا أن يكون حجة عليه : المتشبع بعلم الأصول والعارف بمسائله هو القادر على الإفتاء وإصدار الأحكام الشرعية في مختلف جوانب الحياة البشرية النفسية والاجتماعية والأسرية، ومع هذه الميزة والمكانة لهذا العلم، فإن مسائله ليست على القدر نفسه.

من أهم مسائله مسألة التعارض والترجيح لعلو مرتبتها، فهي أساس التوفيق بين النصوص الشرعية وذلك لتعدد طرق الجمع، واختلافها من مدرسة فقهية إلى أخرى وحتى من أصولي إلى آخر في نفس المدرسة الفقهية. ولكن أغلب الدراسات تتسم بالعموم والإجمال وخاصة الرسائل العلمية - رسائل الماجستير والدكتوراه².

1) أسباب اختيار الموضوع :

1. تأصيل جانب من الخلاف الفقهي بين الظاهرية وجمهور الأصوليين.
2. الرد على من يزعم أن الخلاف الفقهي مع الظاهرية لا يعتد به مطلقا، وهو رأي بعيد كل البعد عن الموضوعية العلمية.
3. إنارة جانب من تراثنا الفقهي الأندلسي المفقود خاصة فيما يتعلق بالمدرسة الظاهرية.

¹ "التمهيد"، تحقيق محمد حسن هيتو، ط أولى سنة 1400هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 39.

² أنظر على سبيل المثال :

- "التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية" (بحث أصولي مقارنة بالمداهب الإسلامية المختلفة)، لعبد اللطيف عبد الله عزيز البزنجي، طبعة دار الكتب العلمية، سنة 1996.
- "التعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما في الفقه الإسلامي" لمحمد إبراهيم محمد الحفناوي، طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة 1987م.
- "القاعدة الكلية : أعمال الكلام أولى من إهماله وأثرها في الأصول" (رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في أصول الفقه) لمحمود مصطفى عبور هرموش، طبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 1987م.

4. ندرة الدراسات المتعلقة بالمباحث الأصولية عند الظاهرية وإن كانت مبثوثة في ثنايا مؤلفات المذاهب الأخرى على وجه الخصوص مؤلفات الفقهاء المالكية الأندلسيين.

5. رفع اتهام ومظلمة عن ابن حزم لاكتها الألسن بكثير من السخط، وتناقلتها الأجيال بدون تدبر ولا تمحيص : الإنكار الحزمي يعتمد على السبّ والشتم وانتقاص العلماء والخط من قدر الجهابذة في كل فن، تفسيق وتبديع وتضليل الآخرين دون إقامة الحجة عليها.

وخير دليل على ذلك ما ذكره الإمام الذهبي في تذكرته حيث يقول : (لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان)¹.

ومن المعاصرين الدكتور أحمد بكير محمود الذي ناقض نفسه في كتابه : ففي المقدمة أكد على الاستعانة بأراء علماء الأمة كافة لإيجاد الأحكام الفقهية للنوازل الحادثة بالرجوع إلى الكتاب والسنة².

ولكنه بعد ذلك يذكر أغلب ما تناقله العوام دون التعقيب على ذلك أو محاولة تبرير هذه الانتقادات بشخصية ابن حزم المزاجية ومسلكه في الردّ على المخالفين³.

(2) الإشكالية :

يرمي هذا البحث إلى الكشف عمّا انتهت إليه جهود المدرسة الظاهرية من طرائق الجمع بين النصوص المتعارضة في الظاهر وعن مقدار إسهامها في التنسيق بين النصوص.

وهل يمكن اعتبار ابن حزم صاحب منهج أصيل وتقعيد لا يحسن تجاوزه وعدم الإفادة منه في دفع التعارض الواقع في أفهام المجتهدين مما يدرأ الشريعة النقائص وينفي عنها الاضطراب.

¹ "تذكرة الحفاظ" للذهبي، ج 3، ص 1148.

² "المدرسة الظاهرية بالشرق والمغرب" لأحمد بكير محمود، ط. أولى، سنة 1990م، دار قنينة، بيروت، ص 50.

³ المصدر السابق أو نفسه، ص 53، 54.

(3) منهجية البحث :

المنهج الذي اعتمدته في كتابة هذه الأطروحة يتلخص في النقاط التالية :

1. الاستقراء التام لمصادر المسألة عند ابن حزم من خلال الفروع الفقهية في "المحلى".
2. اعتمد المنهج التحليلي إذا كان التأصيل موجودا في "الإحكام" لمزيد من البيان والتفصيل.
3. الاعتماد عند الكتابة على المصادر الأصلية في كل المسألة بحسبها عند عرض آراء الأصوليين.
4. إذا كانت التعريفات متباينة فإنني أذكرها مع شرح كل منها وبيان ما ورد عليه من اعتراضات ومناقشات لكي أرجح التعريف المناسب مع بيان وجه اختباره.
5. إذا كانت المسألة خلافية بين ابن حزم وجمهور العلماء، أحاول ترجيح ما يظهر رجحانه، ويكون ذلك مبنيا على سلامة أدلة القول الراجح وضعف أدلة الأقوال الأخرى المرجوحة.
6. العناية بضرب الأمثلة وعدم الوقوف عند الجانب التأصيلي لأنّ الأطروحة جمع بين النظري والتطبيقي، فإن لم يذكر ابن حزم الأمثلة للتقعيد أحاول البحث عنها في ثنايا "المحلى" من باب تخرج الفروع على الأصول.
7. تكون كتابة معلومات البحث بأسلوب، أي أن أخذ من المصادر بالمعنى لا بالنص إلا إذا اقتضى المقام ذلك فأذكره كما هو مع التعليق عليه.
8. تخرج وتوثيق الأحاديث من مصادرها الأصلية.
9. عزو الآيات إلى مواطنها في القرآن الكريم.
10. ذكر الإحالات في هامش كلّ صفحة من صفحات البحث وعند عرض المصادر والمراجع أذكر من تقدّم تناوله على غيره.

خطة البحث

المقدمة.

الفصل التمهيدي : في التعريف بابن حزم وتأسيس المذهب الظاهري.

المبحث الأول : ترجمة ابن حزم.

المطلب الأول : نسبه ومولده.

المطلب الثاني : وفاته.

المطلب الثالث : نشأته.

المبحث الثاني : حياة ابن حزم العلمية.

المطلب الأول : ابن حزم وشيوخه.

المطلب الثاني : ابن حزم وتلاميذه.

المطلب الثالث : ابن حزم ومؤلفاته.

المبحث الثالث : تأسيس المذهب الظاهري.

المبحث الرابع : الظاهرية مع ابن حزم.

المبحث الخامس : انقراض المذهب الظاهري.

الفصل الأول : التعارض بين الأدلة الشرعية.

المبحث الأول : التعارض عند الأصوليين.

المطلب الأول : التعارض لغة.

المطلب الثاني : تعريفات الأصوليين للتعارض.

المبحث الثاني : التعارض عند الظاهرية.

المبحث الثالث : المقارنة بين الظاهرية وجمهور الأصوليين.

المبحث الرابع : أسباب التعارض عند الظاهرية.

المبحث الخامس : المعارضة : ركنها ، شروطها وحكمها.

المطلب الأول : ركن المعارضة.

المطلب الثاني : شروط المعارضة.

المطلب الثالث : حكم التعارض عند الظاهرية.

المبحث السادس : أقسام التعارض عند الظاهرية.

المطلب الأول : أن يرد نص اقل معان ويرد آخر أوسع منه.

المطلب الثاني : أن يكون أحد النصين موجبا ما أوجبه النصف الآخر.

المطلب الثالث : أن يكون أحد النصين فيه أمر بفعل ما بكيفية ما.

المطلب الرابع : أن يكون أحد النصين حاظرا لما أبيض في النص الآخر بأسره.

الفصل الثاني : دفع التعارض بالمحافظة على النصين عند الظاهرية.

المبحث الأول : الجمع عند الظاهرية.

المطلب الأول : في معنى الدفع.

المطلب الثاني : في معنى الجمع.

المطلب الثالث : الجمع بين الأدلة الشرعية عند ابن حزم.

المطلب الرابع : شروط الجمع عند الظاهرية.

المطلب الخامس : أوجه الجمع بين المتعارضين عند الظاهرية.

المبحث الثاني : النسخ عند الظاهرية.

المطلب الأول : تعريف الناسخ والمنسوخ.

المطلب الثاني : موقف ابن حزم من المعتزلة واليهود في مسألة النسخ.

المطلب الثالث : الفرق بين النسخ والتخصيص والبداء.

المطلب الرابع : فيما يجوز فيه النسخ وما لا يجوز فيه.

المطلب الخامس : صفة الناسخ.

المطلب السادس : في جواز نسخ الناسخ.

المطلب السابع : الفرق بين النسخ والبداء.

المطلب الثامن : طرق معرفة الناسخ والمنسوخ.

المطلب التاسع : الأوامر المنسوخة عند ابن حزم.

المطلب العاشر : في مناقل النسخ عند ابن حزم.

المطلب الحادي عشر : نسخ القرآن بالسنة عند ابن حزم.

المطلب الثاني عشر : الأمثلة على النسخ من المحلى.

المبحث الثالث : التأويل عند الظاهرية.

المطلب الأول : التأويل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : التأويل كطريق لدفع التعارض.

المطلب الثالث : التأويل عند الظاهرية.

الفصل الثالث : الترجيح عند الظاهرية.

المبحث الأول : الترجيح مفهومه وموقف ابن حزم من العمل بالراجح.

المطلب الأول : مفهوم الترجيح لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : موقف ابن حزم من الترجيح والعمل بالراجح.

المطلب الثالث : مناقشة موقف ابن حزم.

المبحث الثاني : الترجيحات المقبولة عند الظاهرية.

المطلب الأول : الترجيحات المتعلقة بالسند.

المطلب الثاني : الترجيحات المتعلقة بالمتن.

المبحث الثالث : الترجيحات التي رفضها ابن حزم.

المطلب الأول : الترجيحات المتعلقة بالسند.

المطلب الثاني : الترجيحات المتعلقة بالمتن.

المطلب الثالث : الترجيحات بأمور خارجية.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الأعلام.

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس المواضيع.

(5) مراجع ومصادر البحث وطرق الاستفادة منها :

أولاً : مصنفات ابن حزم

1. الإحكام في أصول الأحكام :

استفدت من هذا الكتاب الجانب التأصيلي لمسألة التعارض والترجيح حيث عقد ابن حزم فصلاً كاملاً لتقعيد قواعد الجمع والترجيح كما بحث في ثنايا هذا الكتاب عن مباحث

أخرى متعلقة بصفة مباشرة بدفع التعارض كالنسخ وحجية بعض الأدلة الشرعية ولكنه في العديد من المواضع لا يمثل للتأصيل أو أنه يشير إليها في كتب مفقودة كالإيصال وغيرها.

2. المحل :

حيث كان محلا لاستقراء الفروع الفقهية التي كانت تطبيقا لما أصّله ابن حزم في إحكامه مع تميزه بقوة أدلته في عرض المسألة إلا أن يتحامل في كثير من الأحيان على خصومه ويردّ على تمثيلاتهم مبينا فسادها وعدم صلاحيتها للاحتجاج بها.

ثانيا : المصنّفات الأصولية

كانت هذه المصنّفات أساس معرفتي لاتجاهات الأصولية في تقرير قواعد التعرض والترجيح ، كما حاولت قدر الإمكان العودة إلى المصنّفات المعتمدة في كل مذهب.

ولكن لاحظت بعد بحث طويل فيها أن مسألة التعارض والترجيح عند ابن حزم لم يتعرض لها لا أي مصنف من هذه المصنّفات من قريب ولا من بعيد ويمكن أن يكون ذلك مرتبطا بما شاع أن خلاف الظاهرة لا يعتدّ به ، فلا مجال لمعرفة آراء إمام الظاهرية في هذه المسألة.

ثالثا : الدراسات الحديثة

لا شك أن التعارض والترجيح قد تناولها الكثير من الباحثين بطرق مختلفة لذلك كان اعتمادي على الأبحاث المتميزة في المنهج أو في المادة.

1. "التعارض والترجيح" للبرزنجي ، حيث جاء عرضه لقواعد التعارض والترجيح متميزا مادة ومنهجيا.

أما المادة فقد كانت مكثفة وشاملة لأغلب ما يتعلق بالتعارض والترجيح في الفقه الإسلامي من حيث الأسباب ، الشروط ، النسخ ، التأويل ، الجمع والترجيح ويمكن القول بأنه أفضل من درس هذه المسألة من المعاصرين.

ويؤخذ على البرزنجي أنه لا يرجّح في كثير من المسائل الخلافية فيكتفي بذكر وشرح التأصيل مع التمثيل له دون الترجيح أو أنه يرجّح تأصيل الحنفية البينة ضعفها أمام ترجيحات باقي الأصوليين.

2. "التعارض في الحديث" للدكتور محمد يوسف البرغير، يتميز هذا البحث بقوة المنهجية، حيث شرح أغلب المفاهيم المتعلقة بالتعارض والترجيح بأسلوب سهل دون تكرار أو غموض ومنهجية هذه المسألة أمر ضروري أمام اتساع فروعها وتشابكها. ويؤخذ على هذه الأطروحة رغم تميزها ضعف التأصيل في بعض الأحيان خاصة في مبحثي "لأوجه الجمع" و "أوجه الترجيح" كما أنّ أغلب الأمثلة المذكورة بعد التأصيل تكاد تكون قريبة إلى حدّ ما إلى وضعها في المصنّفات الأصولية القديمة، فإذا ذكره الأصوليون دون تمثيل فإنه يذكره كما هو، كما غاب الجانب النقدي في بعض الأحيان.

وكذلك يؤخذ عليه الجانب الترجيحي في دراسته لأن ترجيحاته كانت عامة ولم يتوغّل في اعتماد قواعد الترجيح التي وضعها الأصوليون بقدر ما يرجّح حسب آراء المحدثين في المسألة، ويمكن أن يكون ذلك راجع إلى طبيعة طرحه للمسألة.

الفصل التمهيدي

في التعريف بابن حزم وتأسيس

المذهب الظاهري

المبحث الأول : ترجمة ابن حزم

المبحث الثاني : حياة ابن حزم العلمية

المبحث الثالث : تأسيس المذهب الظاهري

المبحث الرابع : الظاهرية مع ابن حزم

المبحث الخامس : انقراض المذهب الظاهري

المبحث الأول : ترجمة ابن حزم

المطلب الأول : نسبه ومولده

الإمام ابن حزم الظاهري هو علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم بن غالب بن صالح¹ بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الفارسي الأموي اليزيدي² القرطبي الظاهري.

اختلف المؤرخون في أصله : ذهب البعض أنه أعجمي الأصل أي إسباني³ والبعض الآخر أنه فارسي⁴.

والراجح هو ما ذهب إليه الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه الذي يدرس حياة ابن حزم وآرائه الفقهية معتمدا على الروايات التاريخية الموثوق منها وترك ما هو ضعيف أو منقطع⁵.

وقد فند أبو زهرة أغلب الآراء القائلة بأعجمية ابن حزم وخاصة وردّ على ابن حيان وهو من معاصريه الذي شكك وطعن في نسبه وذلك بمقارنته بكلام الفتح بن خاقان وبيان ما في تشكيكه من تضارب، مؤكدا إجماع المؤرخين المحققين أمثال الإمام الذهبي في تاريخه على ثبوت النسب الفارسي لابن حزم وهو رأي كل معاصري إمام الظاهرية إلا ابن حيان الذي لم يبق لدعواه إلا العداوة والخصومة.

ودعم الدكتور أحمد بن ناصر الحمد هذا المذهب مرجّحا لفارسيّته وقد أشبع هذه المسألة تحقيقا وبخا في رسالته العلمية⁶. كانت هذه الرفاهية تستمدّ وجودها من الأوضاع السياسية في الأندلس التي سيطر عليها الصّراع على السلطة، فلم تكن أسرة ابن حزم بمعزل عن هذه الأحداث حيث ذقت الويلات وتعرضت للمصائب والاعتقالات والنكبات المتتالية

¹ "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لابن عماد الحنبلي، ج 299/3.

² "مراتب الإجماع" لابن حزم، ص 3.

³ "معجم الأدباء" لياقوت الحموي، ج 250/12، 251.

⁴ "ابن حزم" لمحمد أبي زهرة، ص 20، 21.

⁵ نفس المرجع، ص 20، 21.

⁶ "ابن حزم وموقفه من الإلهيات"، أحمد بن ناصر الحمد، ص 198.

حيث يقول ابن حزم "ثم شغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد¹ بالنكبات وباعتداء أرباب دولته، وامتحننا بالاعتقال، والترقيب، والإغرام الفادح، والاستتار وأزرمت الفتنة وألقت باعها، وعمت الناس، وخصّتنا إلى أن توفي أبي الوزير ونحن في هذه الأحوال"².

المطلب الثاني : وفاته

عاصر ابن حزم فترتين متباينتين كل التباين : الفترة الأولى من منتصف القرن الرابع الهجري حتى نهايته، حيث بلغت خلالها الأندلس قمة الازدهار والقوة والعظمى، أمّا الفترة الثانية من القرن الخامس الهجري فتميزت بالصراع والضعف في الخلافة واحتلال الأندلس وفساد العامة وانحصار تطبيق الشريعة وانتشار الجمود الفكري والتعصب المذهبي ولقد كان لهذه الأحداث الأثر الكبير على عالمنا الذي رسم صورة للمجتمع الأندلسي ومدى اكتواءه بنار هذه الفتن وابتلاءه بالمصائب والمحن وكانت حياته مزيجاً من الرفاهية والشدة ومن مجاورة الأهل ومن التغريب والترحيل ومن التعظيم والتبجيل ومن الهجر وإحراق كتبه في شتى الفنون.

كما اتفقت المصادر التاريخية المعتمدة على تاريخ وفاة ابن حزم حيث أورد المقرئ في نفحه عن ابن حيّان أنه توفي سنة 456هـ³.

ولد ابن حزم بقرطبة سنة 384هـ وقد ذكر تاريخ ومكان نشأته فلا يوجد تعييناً أكثر من هذا وإن شدّ أحد المستشرقين في ذلك⁴. وكانت أسرته ثرية وصاحبة جاه وشرف للوظيفة التي كان يشغلها والده المتميّز بسعة علمه ومجده ونسبه⁵.

¹ هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمان الناصر أبو الوليد المؤيد الأموي (355هـ-403هـ)، ولد بقرطبة وبويع يوم وفاة أبيه سنة 366 (الكامل في التاريخ 284/7، 249 و291).

² "طوق الحمامة" لابن حزم، ص 125.

³ "نفح الطيب" للمقرئ، ج 2، ص 78.

⁴ اتفقت جميع المصادر والمراجع على سنة ميلاد ابن حزم باستثناء المستشرق بروكلمان حيث زعم بأنها سنة 387هـ.

⁵ "مقدمة ابن حزم" للحاجري، ص 11.

المطلب الثالث : نشأته

نشأ ابن حزم في رفاهية من العيش لمكانة والده من المنصور ابن أبي عامر¹ وترعرع في قصر فسيح بناه والده بطابعه الأندلسي الخلاب المعبر عن سيادة وعلو بني أمية ورجال الحكم باعتبار أنّ والده كان وزيرا واسع الاطلاع أشرف على حسن تربيته وإعداده لتلقي العلوم والفنون على تنوعها² حتى أصبح عالما متبحرا، أدبيا وشاعرا مرهفة الحسّ، فقيها، قادرا على الاستنباط والاحتجاج، المناظرة، المجادلة وتفنيده آراء الآخرين، فيلسوفا، حكيما ومنطقيا يندر وجوده ومصنفا عزيزا.

المبحث الثاني : حياة ابن حزم العلمية

المطلب الأول : ابن حزم وشيوخه

تحدث ابن حزم عن شيوخه في عدة مؤلفات أبرزها "طوق الحمامة" حيث عددهم وبين تأثير كل واحد منهم في منحى من مناحي حياته العلمية، فقد كان إماما في الفقه والأدب والمنطق وعلم الكلام وهم كثيرون أبرزهم :

1. أبو علي الحسين بن علي الفاسي :

هو أكثر الشيوخ الذين أثار في تكوينهم لأنّه كان عالما متبحرا، زاهدا ورعا، جامعا بين العقل والنقل في انسجام نافيا أي تعارض بينهما. وقد صحبه ابن حزم منذ طفولته، عندما كان أبوه وزيرا متأثرا باجتهاده : "فلما ملك تنفسي وعقلت صحبت أبا علي الحسين بن علي الفاسي، في مجلس ابن القاسم، عبد الرحمان بن أبي يزيد الأزدي، شيخنا وأستاذي - رضي الله عنه، وكان أبو علي المذكور عاقلا، عاملا عالما، ممن تقدّم في الصلاح والنسك، وفي الزهد في الدنيا والاجتهاد للآخرة... وما رأيت مثله جملة علما وعملا ودينا وورعا، فنفعني به الله كثيرا"³.

¹ هو محمد بن عبد الله بن عامر المعافري القحطاني (326-392هـ) كان أمير الأندلس في دولة المويّد الأموي وهو رابع الخلفاء الأمويين على الأندلس، أنظر الأعلام 226/6.

² "جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس" للحمّدي، ص 170.

³ "طوق الحمامة" لابن حزم، ص 200.

2. أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن أبين يزيد الأزدي المصري :

كان شيخا له معرفة واسعة في الحديث وعلوم العربية كالبلاغة والأدب وقد ورد إلى قرطبة سنة 394هـ ونشر علمه، ولكن لاضطراب الحياة السياسية في قرطبة رجع إلى مصر حيث توفي فيها¹.

3. أحمد بن محمد بن الجصور :

وهو من أكبر شيوخ الإمام ابن حزم² وتوفي سنة "401هـ" ويعرف عنه أنه أكثر الرواية عن "قاسم بن أبي أصبع"، وكان تأثيره عليه في عدة مجالات خاصة الفقه والأدب³.

4. مسعود بن سليمان بن مفلت :

ويكنى بأبي الخيار، وهو أكثر الشيوخ تأثيرا في تكوينه العلمي. وقد تأثر بالنزعة الظاهرية من خلال دراسته على يده لأنه كان ظاهريًا في الفقه وقدريًا في الاعتقاد كما ذكره ابن حزم في طوق الحمامة مثنيا عليه⁴.

5. عبد الله بن يحيى بن أحمد بن دحون الفقيه :

تأثر ابن حزم بابن دحون في الفقه والفتوى، وكان أبرز علماء الأندلس وقد أخذ عنه الفقه في كبر سنّه كما تداول القدماء والمعاصرون رواية حضوره للجنّازة ولم يحسن الصلاة، فسأل عن بيت بن دحون لأخذ العلم عنه، وهي قصة باطلة، موضوعة، ملفقة لم تصح لا تاريخيا ولا منطقيا⁵.

¹ "طوق الحمامة" لابن حزم، ص 125.

² "الشذرات" لابن عماد، ج 161/3، كتاب "العبر في خبر من غير" للذهبي، تحقيق فواد سعيد، ص 75.

³ "طوق الحمامة"، ص 104، 190.

⁴ "طوق الحمامة" لابن حزم، ص 139، والهاجري في كتابه "ابن حزم"، صورة أندلسية، ص 78.

⁵ "معجم الأدباء" لياقوت، ج 11، ص 251، وقد أنكر ذلك الشيخ أبو زهرة في كتابه "ابن حزم" وعبد الحليم عويس في كتابه، ص 66.

6. محمد بن الحسن أبو عبد الله المذحجي :

ويعرف بابن الكتاني ، وقد تأثر به ابن حزم في مجالي الفلسفة والمنطق ، وكان المذحجي فيلسوفاً ، أديباً ، شاعراً وطبيباً ماهراً.

وقد ترجم له ابن خلكان : "وكان شيخه في المنطق محمد بن الحسن المذحجي القرطبي المعروف بابن الكتاني ، وكان أديباً شاعراً طبيباً له في الطبّ رسائل وكتاب في الأدب ومات بعد الأربعمئة ، نقلاً عن الحافظ أبي عبد الله الحميدي وله كتاب صغير سمّاه "نقط العروس" جمع كل غريبة نادرة وهو مفيد جداً"¹.

المطلب الثاني : ابن حزم وتلاميذه

كان ابن حزم من العلماء القلائل المساهمين في كلّ العلوم ، المحاربين للبدع والآراء المنحرفة عن الكتاب والسنة ، ولرفعه أهل السنة وحطّه وذمّه لأهل البدعة بمنظرتهم وبيان تلييسهم فكان لهذا المتبحر الورع تلاميذا دافعوا عن المذهب وقاموا بنشره سواء في المشرق أو في المغرب ومن أبرز هؤلاء :

1. أبو عبد الله بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي :

ولد بقرطبة وأخذ العلم عن ابن حزم وابن عبد البرّ وهو أكثر تلاميذه لزوماً له ، ظاهري المذهب وكان إماماً عارفاً متبحراً ، زاهداً وورعاً حيث نقل الكثير عن إمامته في علم الحديث بفروعه المختلفة².

ومن مؤلفات الحميدي : "جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس" "كتاب المسبوك في وعظ الملوك" والمجال يضيق لذكر مصنفاته.

¹ "النفح الطيب" لأحمد بن محمد المغربي، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ج 2، ص 314.

² نفس المصدر.

2. عبد الله بن محمد بن العربي أبو محمد الوزير :

كان ابن العربي وزيرا، وقد انصرف إلى طلب العلم على المنهج الظاهري وقد أجازته ابن حزم لرواية عدة مؤلفات، خاصة كتابه الإيصال حيث قرأ عليه سبع مجلدات من جملة أربعة وعشرون مجلداً.

ولم تقتصر هذه الإجازة على كتاب الإيصال فحسب، بل بأغلب مصنفات شيخ الظاهرية حيث أورد ياقوت في معجم الأدباء : "وربما كان للإمام "أبي محمد ابن حزم" شيء من مؤلفاته في غير بلده في المدة التي تجول فيها بشرق الأندلس فلم أسمع. ولي بجميع مصنفاته ومسموعاته إجازة منه مرّات كثيرة"¹.

المطلب الثالث : ابن حزم ومؤلفاته

ابن حزم موسوعي المعرفة، ترك مصنفات قيمة في كل العلوم الدينية والفلسفية والأدبية تناهز 400 مصنفًا. وقد تعرّضت عدة كتب للحرق خاصة في عهد الوزير المعتضد ابن عباد² ولكن التاريخ حفظ لنا بعضها.

1. المحلى :

"المحلى" واحد من أربعة كتب صنفها ابن حزم في أحكام الحلال والحرام، أكبرها كتاب "الإيصال إلى فهم الخصال"، ثم أوسطها "الخصال الجامعة لحمل شرائع الإسلام، وأصغرها "المحلى" وأما "المحلى" فهو شرح لـ "المجلى"³، قال ابن حزم : "وفّقنا الله وإياكم لطاعته، فإنّكم رغبتم أن نعمل للمسائل المختصرة التي جمعناها في كتابنا الموسوم بـ "المحلى" شرحاً مختصراً أيضاً. نقصر فيه على قواعد البراهين بغير إكثار، ليكون مأخذه سهلاً على الطالب والمبتدئ، ودرجاً إلى التبحر في الحجاج ومعرفة الاختلاف، وتصحيح الدلائل المؤدية على معرفة الحقّ ممّا تنازع الناس فيه، والإشراف على أحكام القرآن والوقوف على جمهرة السنن الثابتة عن

¹ "معجم الأدباء" لياقوت، ص 242، 243.

² "لسان الميزان" لابن حجر، ص 200.

³ "وصف المحلى" للكناني، ص 20.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمييزها مما لا يصح، والوقوف على الثقات من رواة الأخبار، وتمييزهم من غيرهم¹.

وقال في مكان آخر : "وإنما كتبنا كتابنا هذا للعامي والملتدئ وتذكرة للعالم² وأما طبعات المحلى فهي متعددة : طبع "المحلى" لأول مرة بمطبعة النهضة بمصر، في أحد عشر مجلدا واعتنى بتصحيحه وتحقيق طبعه الشيخ محمد منير الدمشقي وقد علق على هذه الطبعة الشيخ أحمد شاكر، ولهذه الطبعة فهرس دقيقة تصل إلى حدود تسعين صفحة³.

وطبع "المحلى" للمرة الثانية طبعة تجارية في مطبعة الإمام بمصر وعليها تعليقات "الشيخ محمد خليل هراس" "وليس للطبعة الثانية تاريخ"⁴.

2. الإحكام في أصول الأحكام :

وهو الكتاب الذي احتوى على المسائل الأصولية والردّ على المخالفين بأسلوب علمي دقيق يندر وجوده في كتب أصول الفقه الأخرى، فهو يعتبر المرجع في هذا الفن لتأصيله الأحكام الشرعية حسب الأدلة الشرعية المعتبرة عند إمام الظاهرية.

فكتاب "المحلى" في نهاية الأمر لا يعدو إلا أن يكون تطبيقا لما هو وارد في الإحكام وبذلك يكون ابن حزم هو من أسس لعلم "تخريج الفروع على الأصول"، وقد غفل عن ذكره ابن بسام⁵ وابن عماد⁶ بالرغم من أهميته وإن كان أغلب الذين أرخوا للظاهرية ذكره من جملة مصنفاته، وعني بتحقيقه عدة علماء أبرزهم الشيخ أحمد شاكر في ثمانية أجزاء في مجلدين وطبعه بمطبعة السعادة سنة 1345هـ، وطبع للمرة الثانية بمطبعة دار الآفاق الجديدة سنة 1400هـ بإضافة مقدمة للدكتور إحسان عباس⁷.

¹ "المحلى" لابن حزم، ج 1، ص 2.

² نفس المصدر، ج 10، ص 2.

³ "معجم فقه ابن حزم"، ص 65، ج 12.

⁴ "وصف المحلى" لأبي محمد بن علي الكتاني الأثري، ص 22.

⁵ "الذخيرة" لابن بسام، ج 1، ص 170، 171.

⁶ "الشذرات" لابن عماد، ج 3، ص 299، 300.

⁷ "الأحكام بين ابن حزم والأمدي" للدكتور منصف بن عبد الجليل (رسالة دكتوراه مرقونة بكلية الآداب 9 أبريل).

3. الفصل في الإهواء والملل والنحل :

وهو من أوّل الكتاب المؤسسة لعلم "مقارنة الأديان"، حيث حلّل فيه أصول كل الديانات خاصة اليهوديّة تحليلا علميا موضوعيا دقيقا لا يستغني عليه الباحث في الأديان والفرق المتباينة الاتجاهات.

4. الإيصال على فهم الخصال :

وقع ذكره في التعريف بالمحلى.

5. رسائل ابن جرّم :

وهي رسائل متعدّدة في جميع العلوم، قد جمعها الدكتور إحسان عباس ونشرت لأول مرة في ثلاثة أجزاء عن المؤسسة العربية للدراسات وأبرز هذه الرسائل هي :

- رسالة البيان عن حقيقة الإيمان.
- رسالة في ألم الموت وإبطاله.
- رسالة التوقيف على شارع النجاة.
- رسالة في التلخيص لوجوه التخليص.
- رسالة في تسمية من نقل عنه الفتيا من الصّحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا.
- رسالة في أمّهات الخلفاء.

6. طوق الحمامة في الإلفة والإلفات :

وهو الكتاب الذي ورد فيه تفصيل علمي دقيق لأحوال المحبين والعشّاق ووصف للنساء اللاتي تعلم على أيديهن الشعر والأدب والحبّ العذري العفيف الذي صوّره عالمنا في كلّ أبواب كتابه، وكلّ من كتب بعده في هذا الفنّ يعتبر عالّة عليه.

وأشار كلّ من حقّقه إلى أهميته، فشهرته قد تجاوزت الأندلس وبلاد المسلمين¹.

¹ "طوق الحمامة" بتحقيق صلاح الدين القاسمي، ص 171.

7. التقريب لحدّ المنطق والمداخل إليه :

وهو الكتاب الذي حاول من خلاله ابن حزم تبسيط المنطق ونشره بأسلوب سلس وقد اختلف العلماء في تجربته الفلسفية والمنطقية. ومهما تعددت واختلفت هذه الآراء، فإنّ الكتاب يعكس في حدّ ذاته قوة وطول باع مؤلّفه في هذا النوع من الدّراسات التي كان يجهلها أغلب فقهاء عصره وينكرون حتى الحديث فيها، فهو لم يكتف بترجمة المنطق الأرسطي بل كان مجدّداً فيه ومضيفاً إليه أفكاراً جعلت من ابن حيان يعتقد أنّه حاطب ليل في المنطق لا يفقه منه شيئاً¹.

8. جمهرة أنساب العرب :

وهو كتاب الأنساب والمرجع التاريخي للدارسين في هذا الفن يعكس إلمام ابن حزم العجيب بالمنهج التاريخي وتوثيقه لأخبار الأمم ومعرفة أنساب العرب، متأثراً بمنهجه الحديثي في معرفة رجال سند الأحاديث. كما يبرز منهجه الظاهري في نقد الرجال علمه الغزير بأحوال الرواة وأسمائهم وقبائلهم وصفاتهم فهو "نسابة العرب والفقهاء".

9. جوامع السيرة :

وقد عني بتحقيقه إحسان عباس وناصر الدين الأسد ونشرته دار المعارف المصرية سنة 1956².

اعتمد المنهج الذي اتّبعه ابن حزم في ذكر سيرة الرّسول صلى الله عليه وسلّم على النّقد والتمحيص لروايات السيرة مؤرّخاً لبعض الأحداث التي كانت السّبب في صدور أحكام شرعية. وقد طبّق نفس المنهج في "حجّة الوداع" بتأريخه لكل الأحداث تجاوز في ذلك أكبر مؤرخي العرب كالطبري في تأريخه وابن هشام في سيرته.

وتدلّ هذه المؤلّفات المطبوعة دلالة صريحة على موسوعيّته وثقافته الفكرية المتنوعة والتي شملت كل العلوم متّبعاً دائماً منهج الظاهرية والمحدثين في التّعامل مع الأحداث

¹ "معجم البلدان" لياقوت، ص 247.

² "أصول الفقه بين ابن حزم والأمدي" للدكتور منصف بن عبد الجليل، ص 17.

والرجال سواء في علم التاريخ أو السيرة، أو المنطق والفلسفة، أو الفقه وأصوله، أو العقيدة وأصولها، أو علم الأنساب فهو فقيه، أصولي، لغوي، أديب، مؤرخ ومنطقي ونسابة ملتزم بمنهجه الظاهري.

وأما الكتب المفقودة فهي أكثر من المطبوعة لأن العدد المذكور يتجاوز بكثير ما وقع طبعه أو ما يزال مخطوطا مثل الاستقصاء المجلى في الفقه، أسماء الله تعالى، شرح أحاديث الموطأ، الجامع في صحيح الحديث، مراتب العلوم وكتاب الإعراب¹.

المبحث الثالث : تأسيس المذهب الظاهري

المذهب الظاهري هو مذهب داود بن علي الظاهري وكنيته أبو سليمان الذي تبنى منهج أهل الحديث والأثر فسار في فقهه على خطى هذه المدرسة معارضا وناقدا لاجتهادات مدرسة أهل الرأي التي نشأت في العراق، فكانت نشأة المذهب الظاهري في الأندلس، ثم انتشر في العراق وخراسان وصار في فترة من الفترات من أهم المذاهب الفقهية لتمسكه بالكتاب والسنة الصحيحة والرد على أهل البدع والزيغ المؤثرين لآرائهم على النصوص.

وقد أخذ داود الظاهري العلم عن جمع من العلماء أبرزهم سليمان بن حرب، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وأبي ثور وإسحاق بن راهويه وكان يعرف بتقواه، وزهده، وورعه وتمسكه الشديد بالكتاب والسنة ورفض القياس. وقد عانى داود الظاهري كثيرا من أتباع المذاهب الفقهية الذين وجدوا في بعض مقولاته ضالته حيث اتهمه الإمام أحمد بالبدعة والخروج عن طريق السلف الصالح عندما ذكر رأيه في القرآن وخالف جمهور أهل السنة².

وكان داود ينفي كل ما هو رأي واجتهاد مخالف للكتاب والسنة مخلصا لمنهجه الظاهري، منكر القول بالقياس والمصالح المرسله لأنها تشريع بغير ما أنزل الله وإتباع للأهواء في استنباط الأحكام.

¹ المصدر نفسه، ص 19، 20، 21 (بتصرف).

² "المدرسة الظاهرية" لأحمد بكير محمود، ص 20.

وبما أن لكل مؤسس مذهب فقهي مدرسة فكرية يتخرج منها تلاميذا يأخذون عنه علمه ويقومون بنشره، فإنّ داود الظاهري عرف بكثرة أتباعه من طلاب العلم والنزعة الظاهرية كابن حزم الظاهري، ابنه محمد بن داود، وزكريا بن يحيى الساجي وأحمد بن محمد بن صالح الرقي يكنى أبو سعيد.

ولم يكن للظاهرية تأثير يذكر في العراق لسيطرة المذهب الحنبلي الذي عمل على دحض وتفنيد أقوال داود وبيان مخالفته لعقيدة الإمام أحمد الذي عرف بشدة تمسّكه بالكتاب والسنة والأخذ ببعض ما أنكره الظاهرية كالقياس والمصالح المرسلّة والاستحسان¹.

المبحث الرابع : الظاهرية مع ابن حزم

انتقل المذهب إلى الأندلس وقام بنشره الإمام ابن حزم الظاهري، شارحا آراء داود، ناقدها في بعض الأحيان، منكرا على المذاهب الفقهية التي تعتمد الرأي كالمالكية والحنفية، وقد حفظ لنا كتابه المحلى عدة آراء للمالكية والحنفية قلما توجد في كتب أخرى فهو كتاب في الفقه المقارن حيث يعرض أدلة كل مذهب ويقوم بمناقشتها متبعا نزعة الظاهرية في فهم النصوص ورفض التقليد المسيطر آنذاك على مجتهد عصره.

فأول من دافع على المذهب الظاهري هو بقي بن مخلد وهو أحد العلماء الزهاد، الورعين الذي كرّس حياته للدفاع عن الكتاب والسنة ومحاربة المذهبية وإعمال الرأي.

وبعد وفاته بدأ مذهب الظاهرية في الانكماش لأنه كان فقها أصوليا له أسلوب جدلي يقرع به خصومه ويفنّد مقولاته، وقد تأثر به ابن حزم في تمسّكه بالكتاب والسنة ورفضه للقياس، وعمل على نشر النزعة الظاهرية من خلال التّأصيل الشرعيّ وفق الكتاب والسنة متّبعاً منهجا قاسيا وعنيفا في الردّ على مخالفيه وهذا ما جلب له الويلات من معاصريه الذين رموه بالشتم والسباب والوقيعه في العلماء فأعرض العامة عن علمه وعن لهجته العنيفة مع أتباع المذاهب الأخرى.

¹ "المدرسة الظاهرية" لأحمد بكير محمود، ص 20.